

البيان والتبيين

الفحل لا يقرع أنفه وهذا كلام يقال للخاطب إذا كان على هذه الصفة لان الفحل اللئيم اذا اراد الضراب ضرب أنفه بالعصا وقد قال ذلك ابو سفيان بن حرب بن أمية عندما بلغه من تزويج النبي بأمة حبيبة وقيل له مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه فقال ذلك الفحل لا يقرع أنفه والحمار الفاره يفسده السوط وتصلحه المقرعة وأنشد لسلامة بن جندل .

(إنا اذا ما أتانا صارح فزع ... كان الصراخ له قرع الطنابيب) .

وقال الحجاج وإني لأعصينكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل وذلك لان الاشجار تعصب اغصانها ثم تخبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم العيدان ودخل ابو مجلز على قتيبة بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصي فقال ايها الامير اني قد جعل لكل شيء قدرا ووقت فيه وقتنا فالعصي للأنعام والبهائم والسوط للحدود والتعزيز والدرة للأدب والسيف لقتال العدو والقود .

ثم قال الشرقي دعنا من هذا خرجت من الموصل وانا أريد الرقة مستخفيا وانا شاب خفيف الحال فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله فذكر انه تغلبي من ولد عمرو بن كلثوم ومعه مزود وركوة وعصا فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمي بها في بعض الأودية فكنا نمشي فاذا اصبنا دواب ركبناها واذا لم نصب الدواب مشينا فقلت له في شأن عصاه فقال لي ان موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه حين آانس من جانب الطور نارا واراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة الا ومعه عصاه فلما صار بالوادي المقدس من البقعة المباركة قيل له ألق عصاك واخلع نعلك فرمى نعليه راغبا عنهما حين نزهه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكي وجعل الله جماع أمره من أعاجيبه وبرهاناته في عصاه ثم كلمه من جوف شجرة ولم يكلمه من جوف انسان ولا جان .

قال الشرقي انه ليكثر من ذلك واني لاضحك متهاونا بما يقول فلما برزنا على حمارينا تخلف المكارى فكان حماره يمشي فاذا تلوأ اكرهه بالعصا وكان حماري لا ينساق واعلم انه ليس في يدي شيء يكرهه فسبقني الفتى الى